

روح المعاني

وحاصل المعنى على هذا أن أرواح الشهداء الذين جادوا بأنفسهم في مرضاة الله تعالى أو قتلهم الشوق إليه عز شأنه تتمثل صوراً حسنة ناعمة طرية يستحسنها من رآها تطير بجناحي القبول والرضا في أنواع التجليات الألهية وتكتسب بذلك أنواعاً من اللذائذ المعنوية التي لا يقدر قدرها ويتجدد لها في مقدار كل ليلة مقام جليل لا ينال إلا بمثل أعمالهم وذلك هو النعيم المقيم والفوز العظيم وكأن من أول هذا الخبر وأمثاله قصد سد باب التناسخ ولعله بالمعنى الذي يقول به أهل الضلال غير لازم كما أشرنا إليه في آية البقرة فرحين بما آتاهم الله من فضله من الكرامة والنعمة والزلفى عنده ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وهم الغزاة الذين لم يقتلوا بعد أو السالكون المجاهدون أنفسهم الذين لم يبلغوا درجاتهم إلى ذلك الوقت أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لفوزهم بالمؤمن الأعظم والحبيب الأكرم يستبشرون بنعمة من الله عظيمة وهي جنة الصفات وفضل أي زيادة عليها وهي جنة الذات ومع ذلك إن الله لا يضيع أجر إيمان المؤمنين الذي هو جنة الأفعال وثواب الأعمال الذين أستجابوا لله والرسول بالفناء بالوحدة الذاتية والقيام بحق الإستقامة من بعدما أصابهم القرح أي كسر النفس للذين أحسنوا منهم وهم الثابتون في مقام المشاهدة وأتقوا النظر إلى نفوسهم لهم أجر عظيم وراء أجر الإيمان الذين قال لهم الناس المنكرون قبل الوصول إلى المشاهدة إن الناس قد جمعوا لكم وتحشدوا للإنكار عليكم فأخشوهم وأتركوا ما أنتم عليه فزادهم ذلك القول إيماناً أي يقينا وتوحيداً بنفي الغير وعدم المبالاة به وتوصلوا بنفي ما سوى الله تعالى إلى إثباته وقالوا حسبنا الله فشاهدوه ثم رجعوا إلى تفاصيل الصفات بالإستقامة وقالوا نعم الوكيل فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل أي رجعوا بالوجود الحقاني في جنة الصفات والذات لم يمسهم سوء لم يؤذهم أحد إذ لا أحد إلا الأحد وأتبعوا رضوان الله في حال سلوكهم حتى فازوا بجنة الذات المشار إليها بقوله تعالى : والله ذو فضل عظيم كما أشرنا إليه إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه المحجوبين بأنفسهم فلا تخافوا المنكرين وخافون إذ ليس في الوجود سوى إن كنتم مؤمنين أي موحدين توحيداً حقيقياً والله تعالى الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه إليه تشریفاً له بالتسليّة مع الإيدان بأنه الرئيس المعتمني بشئونه .
والمراد من الموصول إما المنافقون المتخلفون إليه ذهب مجاهد وابن إسحاق وإما قوم من العرب أرتدوا عن الإسلام لمقاربة عبدة الأوثان وإليه ذهب أبو علي الجبائي وإما سائر

الكفار وإليه ذهب الحسن وإما المنافقون وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى :
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا وإليه ذهب بعضهم معنى يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم
عليه وشدة رغبتهم فيه ولتضمن المسارعة معنى الوقوع تعدت بفي دون إلى الشائع تعديتها
بها كما في سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة وغيره وأوثر ذلك قيل : للإشعار بإستقرارهم في
الكفر ودوام ملابتهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله سبحانه : يسارعون في
الخيرات في حق المؤمنين وأما إثارة كلمة إلى في آيتها فلأن المغفرة والجنة منتهى
المسارعة وغايتها والموصول فاعل يحزنك وليست الصلة علة لعدم الحزن كما هو المعهود في
مثله لأن الحزن من الوقوع في الكفر هو الأمر اللائق لأنه قبيح عند الله تعالى يجب أن يحزن من
مشاهدته فلا يصح النهي عن الحزن من ذلك بل العلة هنا